العرب
السبت 2020/01/04
السنة 42 العدد 11576

قاسم سليماني.. نهاية العقل المدبر للحروب الإيرانية بالوكالة

مقتل قائد فيلق القدس منعطف بارز في صراعات الشرق الأوسط

ذراع طهران المبتورة في الشرق الأوسط

تلقت طهران ضربة قاسية حين تمكنت القوات الأميركية عبر ضربة جوية من القضاء على قائد فيلق القدس قاسم سليماني في مطار بغداد بالعراق. خطوة أميركية جديدة توصف بأنها نوعية ودقيقة وهدفها إضعاف نفوذ طهران في منطقة الشرق الأوسط، خاصة أن سليماني يوصف بأنه رأس حربة إيران في المنطقة، فهو الجنرال الذي أوكلت له في السنوات الأخيرة مهمة تنسيق الحروب بالوكالة التي تخوضها أذرع وميليشيات إيران في العراق ولبنان وسوريا واليمن.

طهران – نجحت واشنطن، الجمعة، في تحقيق أحد أهدافها العسكرية في منطقة الشرق الأوسط عبر القضاء على قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني الذي يوصف في طهران بالجنرال القوي متعدد الأبعاد والأدوار لتمكّنه من خلط الحرب بالسياسة.

لقد كان سليماني محط أنظار ومتابعة دقيقة، لا فقط من الولايات المتحدة بل من مختلف دول الغرب والدول الأخرى المتخاصمة مع طهران، حيث كان سليماني حاضرا في مختلف الأنشطة التي نفذتها طهران المزعزعة لأمن المنطقة خاصة في العراق وسوريا ولبنان واليمن.

عملية نوعية

إن العملية النوعية الأميركية التي استهدفت سليماني في مطار بغداد بالعراق كانت نتاجا لأمر أصدره الرئيس الأميركي دونالد ترامب كردّ حازم على مشاركة سليماني وفيلق القدس الذي يقوده في مقتل مئات الجنود الأميركيين، بحسب ما أورده بيان صادر عن وزارة الدفاع الأميركية.

> قاسم سليماني جنرال إيران القوي الذي يخلط استراتيجيات الحرب بالسياسة، كان حاضراً في مختلف الأنشطة بالمنطقة، خاصة في العراق وسوريا ولبنان

واتهمت واشنطن، مرارا، سليماني بأنه كان يخطط بشكل فعال لتنفيذ هجمات ضد الدبلوماسيين والجنود الأميركيين بالعراق، ودول المنطقة.

لقد ساعد الميجر جنرال قاسم سليماني، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، بلاده على خوض حروب بالوكالة عبر الشرق الأوسط بإلهام مقاتلي الفصائل في الميدان والتفاوض مع القادة السياسيين.

ويمثل مقتل سليماني نهاية رجل كان يشار إليه بأنه ثعلب طهران، وتتّبعه عن كثب كل من الولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية.

وقالت وزارة الدفاع الأميركية إن الضربة كانت تستهدف ردع أي خطط إيرانية لشن هجمات في المستقبل.

وكان سليماني مسؤولا عن عمليات سرية في الخارج، وكثيرا ما كان يشاهد في ميادين القتال وهو يوجه الجماعات الشيعية العراقية في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وقتل إلى جانب سليماني القيادي العراقي أبومهدي المهندس. وينظر إلى الرجلين في الداخل الإيراني على أنهما بطلان في معركة إيران ضد أعدائها وأهال التلفزيون الرسمي عليهما الثناء والمديح بمجرد إعلان مقتلهما.

وعرض التلفزيون لقطات له مع الزعيم الأعلى الإيراني آية الله علي خامنئي، وفي مناطق الحروب وهو يرتدي الزي العسكري كما عرضت له لقطات وهو شاب تخرج حديثا من المدرسة الثانوية ويقود وحدة خلال الحرب الإيرانية العراقية في ثمانينات القرن الماضي.

وسرعان ما صعد نجم سليماني في صفوف الحرس الثوري الإيراني ليصبح قائد فيلق القدس، وهو منصب ساعد من خلاله إيران على تشكيل تحالفات في الشرق الأوسط، في وقت تعرضت فيه لضغوط نتيجة العقوبات الأميركية التي أصابت اقتصادها بالشلل.

وصنفت الولايات المتحدة الحرس الثوري منظمة إرهابية أجنبية في 2019، في إطار حملة لممارسة أقصى الضغوط لإجبار إيران على التفاوض بشأن برنامجها للصواريخ الباليستية وسياستها النووية.

وكان لسليماني رد حاسم في هذا الشأن بقوله "أي مفاوضات مع الولايات المتحدة ستكون استسلاما كاملا".

وحشد فيلق القدس الدعم للرئيس السوري بشار الأسد عندما بدا على وشك الهزيمة في الحرب المستعرة منذ عام 2011، كما ساعد الفصائل المسلحة على هزيمة داعش في العراق. وبفضل نجاحات فيلق القدس، أصبح سليماني شخصية محورية في التمدد المطرد لنفوذ إيران في الشرق الأوسط، الأمر الذي وجدت الولايات المتحدة والسعودية وإسرائيل صعوبة في كبح جماحه.

وعيّن خامنئي سليماني قائدا لفيلق القدس في عام 1998، وهو منصب ظل فيه خلف الكواليس لسنوات بينما كان يعزز روابط إيران بحزب الله في لبنان وحكومة الأسد والفصائل الشيعية في العراق.

وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، زادت شهرته في الوقت الذي كان فيه المقاتلون والقياديون في العراق وسوريا ينشرون صورا له في الميدان وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، يظهر فيها دوما بلحية مشذبة وشعر مصفف بعناية.

> واشنطن تفتتح العام الجديد بصيد ثمين بعد التخلص من شخصية محورية حبكت كل مؤامرات إيران في الشرق الأوسط

أصبح نفوذ سليماني داخل المؤسسة العسكرية الإيرانية جليا في 2019 عندما منحه خامنئي وسام ذو الفقار، وهو أعلى تكريم عسكري في إيران. وكانت هذه المرة الأولى التي يحصل فيها قائد عسكري على هذه الميدالية منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية في عام 1979.

وفي بيان بعد مقتل سليماني، قال خامنئي إن انتقاما عنيفا ينتظر "المجرمين" الذين قتلوه. وأضاف أنه رغم أن مقتل سليماني "يشعرنا بالمرارة" فإنه سيضاعف الحافز لمقاومة الولايات المتحدة وإسرائيل.

وقال مسؤول عراقي كبير سابق طلب عدم نشر اسمه في مقابلة أجريت عام 2014 "سليماني لم يكن رجلا يجلس على مكتب. كان يذهب إلى الجبهات لتفقد الجنود ويشهد المعارك".

وأضاف "لا يسبقه في تسلسل القيادة سوى الزعيم الأعلى. عندما كان يحتاج الأموال كان يحصل عليها، وعندما كان يحتاج الذخيرة كان يحصل عليها، وعندما كان يحتاج العتاد كان يحصل عليه".

وكان سليماني مسؤولا أيضا عن عمليات جمع المعلومات والعمليات العسكرية السرية التي نفذها فيلق القدس. وفي 2018 تحدى الرئيس الأميركي دونالد ترامب علنا.

وقال في مقطع فيديو نشر على الإنترنت "أقول لك يا سيد ترامب المقامر.. أقول لك.. اعلم أننا قريبون منك في مكان لا يخطر لك أننا فيه". وأضاف "ستبدأ أنت الحرب لكن نحن من سينهيها".

من الخفاء إلى العلن

سبق للمحلل العسكري السابق في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كينيث بولاك أن قال عن سليماني ضمن السيرة التي كتبها عنه لمجلة تايم في عددها المخصص لأكثر مئة شخصية نافذة في العالم عام 2017، "بالنسبة لشيعة الشرق الأوسط إنّه خليط من جيمس بوند وإرفين رومل ولايدي غاغا".

وأضاف "بالنسبة إلى الغرب، إنّه المسؤول عن تصدير الثورة الإسلامية، دعّم الإرهابيين وقيادة حروب إيران في الخارج".

وكان البعض في إيران التي تعاني من ركود اقتصادي، اقترح دخوله إلى السياسة المحلية. غير أنّ الجنرال الإيراني كان ينفي الشائعات التي تشير إلى عزمه الترشح للانتخابات الرئاسية في 2021.

وفي كل تطور سياسي أو عسكري في العراق، كان سليماني نشطاً في الكواليس. ومن تمدد تنظيم الدولة الإسلامية إلى الاستفتاء على استقلال إقليم كردستان، أو حتى حاليا على صعيد تشكيل الحكومة الجديدة، كان في كل مرة يلتقي الساسة العراقيين ليشرح أمامهم المسار الذي يتوجب سلوكه، وفق عدد من المصادر التي شاركت في هذه الاجتماعات التي كانت تعقد في السر.

ويعود نفوذه إلى فترات سابقة، إذ كان يقود فيلق القدس حين غزت الولايات المتحدة أفغانستان في 2001.

وبعدما قضى عقودا من حياته خلف الكواليس، بدأ سليماني يتصدر أخبار وسائل الإعلام منذ بدء النزاع في سوريا عام 2011، حيث تقدّم إيران دعماً ثمينا لنظام الرئيس بشار الأسد.

وفي مقابلة متلفزة بثّت في أكتوبر، روى أنّه أمضى فترة من النزاع اللبناني – الإسرائيلي في 2006 في لبنان إلى جانب قادة حزب الله.

وأظهرت دراسة نشرها في 2018 مركز "إيران – بول" لاستطلاعات الرأي وجامعة مريلاند، أنّ 83 بالمئة من الإيرانيين الذين جرى استطلاع آرائهم، كانت لديهم آراء إيجابية بسليماني، ما جعله يتقدم حتى على الرئيس حسن روحاني ووزير الخارجية محمد جواد ظريف.

وعلى الصعيد الدولي، يعتبر بعض المسؤولين الغربيين أنّه الشخصية المحورية في إطار علاقات طهران بجماعات مثل حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية.

طهران تخسر «المهندس» لولاء الحشد الشعبي

بغداد – نجحت الإدارة الأميركية مطلع العام الجديد في ضرب عصفورين بحجر واحد حين تمكنت عبر غارة جوية من قتل قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني، وكذلك معاون قائد قوات الحشد الشعبي العراقي أبومهدي المهندس.

لقد كانت الخسارة الإيرانية عقب هذه التطورات الأخيرة مضاعفة؛ فقد خسرت في آن واحد، أوّلا، سليماني مهندس مختلف أنشطتها المزعزعة لاستقرار دول الشرق الأوسط، وثانيا خسرت إلى الأبد أحد أهمها رجالها في العراق المهندس الذي يشرف على إحدى أهم ميليشياتها، الحشد الشعبي.

لقد كان معاون قائد قوات الحشد الشعبي العراقي أبومهدي المهندس الذي قتل فجر الجمعة بهجوم صاروخي أميركي، رجل طهران في العراق والعدو الشرس للولايات المتحدة.

ويوصف المهندس في الساحة العراقية بأنه من الأوفياء للثورة الإسلامية الإيرانية وبكونه بات اليوم والعراق يشهد احتجاجات متمرّدة على النفوذ الإيراني، من أهم ورقاتها المراهنة على إخماد الاحتجاجات عبر التسويق المتكرر بأن واشنطن هي العدوّ رقم واحد للعراقيين وليست إيران.

ويعد المهندس من أكثر الأطراف الموالية لإيران تورّطا بإصدار أوامر لعناصر كتائب حزب الله بالاعتداء على المتظاهرين، والتصدي لهم في موجة الاحتجاجات الأخيرة في العراق.

وقتل المهندس واسمه الحقيقي جمال جعفر آل إبراهيم، في ضربة جوية أميركية قرب مطار بغداد، أسفرت كذلك عن مقتل صديقه الحميم الجنرال الإيراني واسع النفوذ قاسم سليماني، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني.

ويؤكد المراقبون أن واشنطن كانت تدرك مدى خطورة أبومهدي المهندس ولذلك كانت غارتها الجوية دقيقة وباحثة عن تخليص العراق من إحدى الشخصيات التي لعبت أدوارا هامة في نسج شبكة من الميليشيات تنطق باسم إيران وتأتمر بأوامرها في العراق.

ولطالما وصفت الإدارة الأميركية رجل إيران بأنه بـ"الإرهابي"، وهو أحد المطلوبين للسلطات القضائية الكويتية والأميركية والشرطة الدولية بعد اتهامه بتفجير السفارتين الأميركية والفرنسية في الكويت في ثمانينات القرن الماضي.

كما كان المهندس أحد أهم المطلوبين لمحكمة الثورة بعد أحداث عام 1979 في العراق، الذي غادره بعد تسلم الرئيس العراقي السابق صدام حسين السلطة، لكنه لفت انتباه الجميع في السنوات الأخيرة بعد أن أصبح من أهم المقربين من قائد فيلق القدس قاسم سليماني.

وجاءت الضربة بعد أيام قليلة من قيام أنصار وعناصر من الحشد الشعبي كان المهندس معهم، بمهاجمة مقر السفارة الأميركية في بغداد، الأمر الذي أثار غضب واشنطن.

عرف المهندس المناهض بشدة للوجود الأميركي في العراق، بعلاقاته الوثيقة القديمة مع إيران وتتهمه واشنطن بأنه أبرز وكلائها من الفصائل الشيعية العراقية الذين خططوا لهجمات صاروخية ضد قواعد عسكرية تستضيف جنودا ودبلوماسيين أميركيين في العراق.

وتتزايد التخوّفات بعد هذه الخطوة الأميركية، من تصاعد التوتّر بين واشنطن وطهران، وهما حليفتان لبغداد، وسط مخاوف من تحول العراق إلى ساحة صراع بين الدولتين.

وقال الباحث المختص بشؤون الجماعات الشيعية المسلحة فيليب سميث، إن "المهندس كان الدليل على كيفية قيام إيران ببناء شبكتها من الوكلاء في العراق".

وأضاف أنه "مرتبط بكل الشبكات الرئيسية لإيران في العراق. لا نظير له. إنه تجسيد مثالي لنفوذ إيران في العراق". ولد المهندس عام 1953 في البصرة بجنوب العراق، وكان يحمل الجنسيتين العراقية والإيرانية ويتقن اللغة الفارسية.

وقد كان في ثمانينات القرن الماضي أحد القادة البارزين لفيلق بدر، القوة التي شُكلت في إيران من مقاتلين عراقيين لدعم إيران في الحرب ضد نظام صدام حسين (1980–1988).

وصدر حكم بالإعدام على المهندس في 1983 في الكويت لتورطه في هجمات استهدفت سفارتي الولايات المتحدة وفرنسا، لكنه فر من هناك.

بعد الغزو الأميركي للعراق الذي أطاح بنظام صدام حسين، أصبح المهندس لفترة قصيرة عضوا في البرلمان العراقي عقب انتخابات عام 2005.

ساعد المهندس في تأسيس كتائب حزب الله، الفصيل المتشدد المدعوم من إيران الذي اتهمته الولايات المتحدة باستهدافها، ونفذت سلسلة ضربات ضد مواقع له قبل أيام تسببت بمقتل 25 مقاتلا.

وفرضت الولايات المتحدة في 2009 عقوبات على المهندس وكتائب حزب الله واعتبرتهما "إرهابيين".

> أبومهدي المهندس متهم بإدارة شبكات تهريب أسلحة وبالمشاركة في تفجير سفارات أجنبية ومحاولات اغتيال

وتتهم واشنطن الرجل بأنه يدير "شبكات تهريب للأسلحة وشارك في تفجير سفارات أجنبية ومحاولات اغتيال في المنطقة".

ووصف الخبير في معهد واشنطن للأبحاث مايكل نايتس، المهندس بأنه "العدو اللدود الأول للولايات المتحدة"، حتى أنه أكثر عداء من كل الفصائل المؤيدة لإيران في العراق.

وعلى الرغم من أن فالح الفياض، مستشار الأمن الوطني العراقي، هو قائد الحشد الشعبي، كان المهندس إلى حد كبير، حسب مراقبين، القائد "الحقيقي" لهذه الهيئة التي شكلت بفتوى من المرجع الشيعي الأعلى في العراق علي السيستاني، بصورة أساسية لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.

وقال نايتس إن "المهندس عمل بجد على تطوير الحشد لجعله منظمة لا تخضع لقيادة كاملة من رئيس الوزراء ولا تتبع لقوات الأمن التقليدية".

ودمجت هذه القوة في وقت لاحق مع القوات الأمنية العراقية الرسمية، لكن ما زالت بعض فصائلها المتشددة، وبينها كتائب حزب الله، تمارس نشاطات مستقلة عن بغداد.

وكان المهندس يتمتع بولاء قواته على الأرض والسيطرة على الموارد المالية للحشد الشعبي، ما جعله "الجهاز العصبي المركزي" لفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في العراق، بحسب ما وصفه نايتس العام الماضي.

كما كان المهندس مستشاراً شخصياً للجنرال سليماني، وكانا يظهران سوية في العديد من المناسبات والمناطق الساخنة. كان المهندس يطلق لحية بيضاء بينما شعره الأبيض مرتب دائما، ويضع نظارات.

على الرغم من موقعه المهم في الحشد الشعبي، نادراً ما كان يظهر في العلن أو يتدخل في السياسة. وقد خرج عن صمته العام الماضي باتهامه الولايات المتحدة وإسرائيل بالوقوف وراء سلسلة انفجارات غامضة استهدفت قواعد للحشد الشعبي. ورأى نايتس أنه من غير الواضح من سيعيّن في مكان المهندس، موضحا أنه سيكون من الصعب العثور على شخص يؤمن بالأيديولوجيا نفسها ويقيم العلاقة نفسها مع إيران.